نضال الفلسفة والدين فى اغريقيا القديمه

مثل الحياة كمثل السوق يقصده البعض لتبادل السلع ، بينما يهتم البعض الآخر بما فيه من وسائل اللهو . ولكن هناك من يقصده للملاحظه والدرس . هؤلاء هم الفلاسفة الذين يقارنون ويستنتجون فى حين يجرى غيرهم وراء الفخر والثروة ، بينما يسعى الآخرون لسد حاجاتهم الدنيويه

هناك فرق بين الفيلسوف والعالم ، فالاول يبحث عن كل شىء جليا كان او خفيا ، في حين ان الآخر يطبق النظريات على الاختبار

كان الاغريق قبل قيام الفلاسفة بينهم يروون ظاهم بما يتناقلونه من الاساطير عن كيفية نشوء العالم ، وكانوا يأنسون (من انس) آلهتهم ويمثلونهم في قوات طبيعية أو أجسام

لعب الشعراء دورا عظيما في تكوين ونشر الاديان اليونانية ، الامر الذى لم يحدث له مثيل فى تاريخ أى امة اخرى . فان لبس الشعراء للمسوح ظاهرة غير مألوفة الا بين قدماء الاغريق . وكان السبب فى ذلك انعدام طبقة الكهنة فى اغريقيا القديمة . وليس معنى هذا انه لم يكن هناك رجال متدينين ، بل هؤلاء قد تواجدوا ، وانما لم تكن تجمعهم جامعة ولم تكن لهم قوة تقود

وكل الجماعات الدينية كانت مكونة من عدة رجال يسلمون برأى الهى مخصوص ، ويحتفظون بتقاليد معينة ، ويتداولون تاريخ جماعتهم المملوء بقصص المعجزات والمدهشات

وبدلا من القسوس كان ينضم هؤلاء الناس الى وحدات الجيش مثلهم فى ذلك مثل الشعراء ومثل السحرة ، وكل هؤلاء كانوا يكونون مجلس الحرب الاستشاري لقائد التجريده . وكانت آراءهم تبسط كما لو كانت مستقاة من الآلهة . ولذلك كانوا مسيطرين تمام السيطرة على القادة والجنود ، ونالوا من وراء ذلك غنى وافرا لايقل عن نصيب رجال الدين القدماء من البابليين والمصريين ، او من رجال الكنيسة الكاثوليكية في عصر أوروبا المظلم

فمن حسن حظ العقلي اليوناني ان قامت تقاليده على الاساطير وهي اقل تغلغلا في النفس من التقاليد الدينية التي اعتنقها الشرق ، خصوصا وان دعاة هذه الاساطير كانوا متعددي الغايات والوسائل ، وكلها متضاربة مع بعضها فكان من السهل التسليم بجواز ترك فكرة لاعتناق اخرى

والشعراء الاسطوريين بوجه عام مدرستان قديمتان في اليونان ، يمثل احداها هومر ، حين يمثل الاخرى هيزيود ، وكان الاول من القائلين بتجسد الآلهة في صور بشرية ، بخلاف الآخر الذي كان يظنهم ممثلين للقوات الطبيعية فكان زمن جامع الضباب يرمز الى السماء العليا ، وكانت اثينا تحمل له درعه واما الابن ابولو فكان ممثل الشمس المضيئة ، هذه هي الآلهة العليا المهمة

وعند ماسادت الاساطير المتضاربة المتناقدة جو اليونان الفكري قامت فئة المفكرين من نوع آخر (هؤلاء هم « الحكماء Sages) ولو ان هؤلاء اهتموا اولا في التخبط البعيد عن العلم الا انهم اخذوا ينظمون ارائهم على مر الزمن ، وتركوا لهم آثارا باقية الى اليوم . مثل « كن متوسطا » « اعرف نفسك » الخ

ونتج عن تفكير هؤلاء الحكماء تنظيم القوانين الادبية الزاجرة وتأسيس العلم الايجابي الامور التي نتج بعضها عن اديان الشرق دون ان تتماشى مع الزمن ، ولم ينتشر بعضها بالمرة بين امم كانت تعمل بايمان لايسهل التحول عنه ، ويمكن ان نقول بعد ذلك ان آلهة الاغريق القدماء كانت متنوعة يجمعها فرعان ، آلهة سماوية وآلهة ارضية (سفلى) وأشهر الآلهة الاولى من سبق ذكرهم ، وهم زمسن وابولو واثينا . وكانوا يمثلون السماء الساطعة المتسلطنة فيها الشمس ، بينما كانت الآلهة السفلي المهمة بليتو اله القبر المتسبب في انبات الزرع وانباع الماء ، وديمتر « امناء الارض » مع ابنتها برسيفوني ، واخيرا ديونيسس رب الجداول واله الخمر ، وكان آلهة السماء متبوعة بالطبقات العالية من الامة . اما الطبقة العاملة الوضيعة فكانت تتبع الآلهة السفلى لانها التي تعطيهم المحاصيل والخيرات التي يتقوتون بها . وهؤلاء الاخيرين هم الذين

اغرقوا فى الأساطير اى اغراق فكانوا يعتقدون ان ديمتر « امهم الارض » كانت تنوح كل عام على ابنتها برسيفونى « الربيع المكلل جبينه بالزهور » التى اختطفها الى الموت لتشاطره ادارة مملكته السفلى. كذلك كانوا يعتقدون أن ديونيسس كان يقطع اربا تحت معصرة الخمر فى كل سنة. ولم تكن الزهور النضرة والاوراق الخضراء الا رمز القيامة برسيفونى السنوية ـ ابان فصل الربيع ـ وهو وقت نشور الارواح المقبوضة

ويجب ان لا نتغاضى عن تأثير الحالة الاقتصادية فى الوجهة الاخلاقية لطبقات اى امة: فالطبقات الدنيا اكثر اهتماما بالاخلاق عن الطبقات الراقية لان الفقير يبذل جهده دائما للدفاع عن كيانه ضد هجوم الصفات الملازمة للغنى كالترف المحتاج للانفاق على سعة وهو مالا يقدر عليه الفقير

لذلك نجد هيزيود ـ شاعر الرعاع ـ اكثر تمسكا بالفضيلة من هومر ـ شاعر المحاربين من الاشراف ـ فانك لاتعثر على فكرة عقاب الآخرة في الالياذة، بينما تجده متجليا في الاوديسى

وحتى هذا المجال الاخلاقى قد اقتحمه حكماء اليونان الاقدمين خصوصا فى العهد الفيثاجورى فكانوا من دعاة الفضيلة

وفي عهد السفسطائيين من الحكماء اخذ نظام التعليم يدخل مرحلة جديدة لان اؤلئك النفر من الحكماء اتخذوا على عاتقهم الانتقال من مكان لآخر لالقاء المحاضرات على الشعب. وبالطبع كانت محاضراتهم تنقض على اسس الاساطير الشعرية، التى وان تهذبت لمزج بعض الحكماء السابقين الفلسفة بالشعر، فانها كانت وسيلة العلم الوحيدة قبل ان قام السفسطائيون بعملهم الشبه علمى المؤسس على المنطق

نتج مما سبق ان تمكنت الفلسفة من طرد الدين فى اليونان القديمة